# المشاهدة التلفزيونية في زمن تقارب الميديا .. تغيّر في الطقوس وتحوّل في الممارسات

د. عزيـــز لعبـــان
كلية علوم الإعلام والاتصال - جامعة الجزائر

**ملخص :**

يرتكز اهتمامنا في هذه الدراسة على التحوّلات التي يمكن أن تطرأ على عادات استخدام المحتويات التلفزيونية وأنماطها في ظل وجود التكنولوجيات الرقمية وتقارب الميديا. نفترض أنه بقدر ما نشهد تحوّلات حقيقية في طقوس الاستخدام لاسيما عند المستخدمين الشباب، فإنّ بعض الممارسات التي يمكن أن نسميها كلاسيكية ما زالت تقاوم هذا التغيير والتحوّل، بفعل البنيات الثقافية التقليدية التي تشكّل أساسا لتجذر بعض الممارسات التي تشكّلت في تفاعل مع التلفزيون في المرحلة التي كان يتواجد هذا الأخير في مركز حياة الأفراد. إنّ انتقال المشاهدة من جهاز التلفزيون إلى وسائط أخرى كالكمبيوتر مثلا، أو الهاتف الذكي، أو اللوحة الإلكترونية (tablette)، أدى إلى تفكيك البنية الزمنية للاستهلاك بكسر روتين المواعيد التلفزيونية، التي تعدّ الأساس في تنظيم الزمن الاجتماعي للمشاهدة، فضلا عن تحرّر المستخدم من الفضاء والمكان، إذ لا يشترط الالتفاف حول الجهاز في البيت، بل إن المشاهدة أصبحت ممكنة في أي مكان.

**المصطلحات الأساسية :**

طقوس المشاهدة التلفزيونية - تقارب الميديا – النسق الاجتماعي التقليدي –

## *Viewing television in media convergence era Riteschange and practicestransformation*

*azizlabane@gmail.com*

## Abstract

*The present article concerns one of the objects of media sociology under construction. The transformation of the rites in the use of the television contents in the era of digital technologies and media convergence. By an analytic contextual approach, based on the study of the uses, we formulate the following hypothesis: so many changes in the rites of uses are real, in particular at the young people, so, many pieces integer of the everyday life remain impervious to these changes, and it is true under the influence of a slowness of the social and cultural orders, rooted for a long time in the traditional social fabric. We shall then try to bring a sociological look to this societal, cultural, and communicational object that is the passage of the reception television contents in the various digital platforms. This passage stands out nevertheless, a transformation in*

*the media: the passage from the collective viewing in family to the personalized .individual viewing*
*Sociological dimension which underlies this transformation has for consequence the dismantling of the temporal structure of the consumption, by giving the possibility to the users to reorganize the television appointment, and to release them at the same time from the domestic space, the place where the practices are applies the social control by*
*.means of the interactions public television*
*Old media are not beingdisplaced .Rather, their functions and statuses are » (shifted by the introduction of new technology."(Jenkins, 2006*
**Key words:** *rites of reception television-media convergence- traditional social system*

## مقدمة:

لم تسلم وسائل الإعلام منذ ظهورها وبروزها بوصفها وسائل للإعلام الجماهيري في الثلاثينيات، من سنّة التطوّر والتغيّر والتحوّل (التكنولوجي فيما يخصها). فكلّما ظهرت وسيلة من الوسائل لفتت الانتباه والاهتمام، وشغلت المهتمّين من الباحثين بدراستها وتفسير علاقتها مع المجتمع في حقبة زمنية ما، وبمجرد ظهور وسيلة جديدة تنبأ الجميع باستبدالها للوسيلة الكلاسيكية. حدث هذا مع الصحافة المكتوبة عندما ظهرت الإذاعة، ومع السينما عندما اخترع التلفزيون، والتساؤلات نفسها تطرح علينا اليوم فيما يتعلق بالتلفزيون مع ظهور التكنولوجيات الرقمية وتقارب الميديا، كإمكانيات للانتقال بين مختلف الأرضيات من أجل المحتوى نفسه.

إذا كان "الإعلان على نهاية التلفزيون هو شعار لا يحمل دلالة كبيرة "كما يشير الى ذلك الكثير من الباحثين، استنادا الى المؤشرات الامبريقية التي تؤكد على زيادة الاهتمام بالمضامين التلفزيونية، على الرغم من وجود هذه التكنولوجيات الرقمية، والتوجه الملاحظ للمؤسسات التلفزيونية نحو التقارب في الميديا. فإن التساؤل الملحّ علينا اليوم، لاسيما في مجتمعاتنا العربية، لاسيما المجتمع الجزائري هي:

هل مشاهدتنا للتلفزيون اليوم في ظل التوجّه نحو تقارب الميديا، تحكمها الطقوس والممارسات الاجتماعية نفسها التي شكّلت (Façonner) علاقتنا بالتلفزيون طوال النصف الثاني من القرن العشرين؟

سنحاول في هذه الدراسة الاقتراب الى فهم المشاهدة التلفزيونية في ظل تقارب الميديا من خلال العلاقة بين ثلاثة عناصر أساسية وهي:

الفرد المشاهد في سياق النسق الاجتماعي التقليدي، ثمّ التلفزيون بوصفه وسيلة مركزية في حياة الأفراد، وأخيرا الإمكانية التي يوفرها تعدّد الأرضيات التكنولوجية للفرد المشاهد، من أجل تجاوز طقوس المشاهدة التقليدية في السياق المنزلي.

### ١. تطور تكنولوجيا البث التلفزيوني: هل هي نهاية التلفزيون كما عرفناه ؟

طرح Jenkins منذ مطلع القرن ٢١ فكرة أننا انتقلنا الى عهد جديد فيما يتعلق بالميديا، وعليه ينبغي

أن نغيّر نظرتنا الى التلفزيون، بحكم التغيرات الحاصلة في عالم تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وهذا على جميع مستويات العملية الاتصالية، سواء تعلق الأمر بالوسيلة، أو المحتوى، أو المستخدم والمستقبل. وهذا لا يعني أبدا، أنّ ما يصطلح عليه اليوم بالوسائل الكلاسيكية قد زالت أو زال وجودها، إلاّ أنه لا يمكننا اليوم أن ننظر إليها بالطريقة ذاتها التي كنا ندركها بها قبل الانفجار التكنولوجي الذي يشهده عالم الاتصال.

وعليه فإن الانشغال اليوم، لا يكمن في التعرّف على وسائل الاعلام المهدّدة بالزوال، وتلك التي يمكن أن تخلفها. بل إنّ التساؤل الذي يطرح على الباحثين ويثير اهتمامهم، هو ما الذي تفعله وسائل الإعلام من أجل التأقلم مع الوضعية الجديدة، لأنه و كما تشير إليه Doyle، إذا كان التطور التكنولوجي مبدأ أساسيا في الصناعة الإعلامية، فما الاستراتيجيات المتوخاة من طرف مختلف المؤسسات/المنظمات الإعلامية للتقرب أكثر من المستخدم بتوظيف التكنولوجيات المتعدّدة.

"يعدّ التغيّر التكنولوجي سمة ثابتة في صناعات الوسائط الإعلامية، وتهتم عديد من الدراسات ذاتها بكيفية تكييف المؤسّسات لاستراتيجيتها من أجل التعامل مع التقارب، ونمو الانترنت." (Doyle, 2010)

ولقد وظف Jenkins مفهوم التقارب الثقافي للإشارة الى التحوّل الذي يشهده التلفزيون من خلال انتقاله الى مختلف الوسائط والأرضيات لتوصيل مضامينه ومحتوياته الى الجمهور.

"يمثل التقارب أنموذجا–الانتقال من الوسيلة–لتحويل المحتوى الخاص نحو المحتوى الذي يتدفق عبر عديد القنوات الإعلامية، نحو نظام اتصالي تبادلي متزايد، نحو طرق متعدّدة للنفوذ الى المحتوى، ونحو علاقات اكثر تعقيدا بين فوقية المؤسّسات الإعلامية، وثقافة المشاركة من الأسفل." (Jenkins, 2006, p. 243)

فبالنسبة إليه لا يكون مجرد انتقال للمحتوى بين الوسائط والأرضيات، وإنما هو التعاون الحاصل بين مختلف الصناعات الإعلامية والاتصالية، سواء تلك المتعلقة بالتلفزيون الذكي، الانترنت، الهاتف الذكي أو غيرها من التكنولوجيات التي تسمح للمحتوى بأن يتواجد عليها، وهو ما أدى الى تغييرسلوك المستخدم الذي تحوّل الى رحّالة في بحث مستمر عن التجارب الترفيهية التي يرغب فيها.

ولقد أظهرت الملاحظة الامبريقية في العديد من الدراسات أن جمهور التلفزيون مثلا يبتعد شيئا فشيئا عن شاشة التلفزيون بوصفه وسيطا حصريا يوفر له الولوج الى البرامج التي تعوّد عليها، وأخذ ينّوع، ويعدّد الأرضيات(Plateformes) التي تمكّنه من الوصول الى المحتويات التي تلبي احتياجاته ورغباته، إذ لم يعد يكتفي بالمشاهدة على شاشة التلفزيون، وإنما يبحث عن هذه المضامين عبر وسائط أخرى، وفي وضعيات اجتماعية مغايرة لتلك التي تعوّد عليها في فضاء البيت. وعليه فإن المؤسّسات التلفزيونية لم تعد قادرة على الاكتفاء بالوسيط التقليدي لتوصيل محتوياتها الى الجمهور، وهو ما يفسّر تسارع هذه الأخيرة لنقل محتوياتها عبر أرضيات متنوعة.

"أيّ المؤسّسات الإعلاميةالتي تستفيد من فرص بث محتوياتها عبر المنصّات المتعدّدة، يعود الى التنقّل نحو تعدّد المنصّات الذي يسمح للمؤسّسات التلفزيونية استعمال مواردها بفاعلية أكبر من ذي قبل." (Doyle, 2010, p. 2)

تشير العديد من الدراسات أنّ العامل الاقتصادي يمثل العنصر الحاسم في انتقال المؤسسات الإعلامية نحو الافادة من تعدّد الأرضيات التكنولوجية، على غرار التوجه نحو النت أو على الخط (online)، ولم

يكن هذا التوجه نحو التقارب أبدا حرصا منها (أي المؤسسات الاعلامية) للتنويع من المحتوى الثقافي وهو ما ذكره Jenkins

"إن التحوّل في استراتيجيات المؤسّسات الإعلامية باتجاه مقاربة تعدّد المنصّات، وباتجاه استعادة التوازن بين فوقية الميديا مقابل الثقافة التشاركية المتصاعدة، يحكمه حسابات اقتصادية وليس مهمة موسّعة لتمكين الجمهور." (Jenkins, 2006, p. 243)

تشير Elodie Kredens& Florance Rio في السياق نفسه الى دراسة قام بها معهد IPSOS في فرنسا سنة ٢٠١٣، أظهرت أنه عشر سنوات بعد ظهور الواب ٢,٠، وفي الوقت الذي يتواجد ٨٠٪ من المبحرين على النت، في مواقع التواصل الاجتماعي، نلاحظ أن الجمهور لا سيما الشباب منهم يبتعد عن التلفزيون، تحت طائلة التملّك الجماهيري للتكنولوجيات الرقمية للإعلام والاتصال. وتضيف الباحثتان الى أنّ هذا الابتعاد عن الوسيلة التقليدية، هو أحد أسباب التجديد في التلفزيون، والإرادة المعلنة لتطوير عروضها، وأنماط برمجتها، وهو ما عد تساؤلا حول طبيعة الوسيلة ذاتها(Kredens & Rio, 2015).

وهذا التوجه للقائمين على المؤسسات التلفزيونية نحو ما أطلق عليه Jenkins ظاهرة تقارب الميديا (Mediaconvergence) يؤكّده كثير من المهنيين أنفسهم على غرار Matthew Postgate وهو أحد مسيّري شبكةBBC.

"إنّ الموضع الذي يكون فيه التقارب ناجحا، هو محيط المؤسّسات التي تختار مختلف المنصّات لقوّتها، من أجل خلق شيء أعظم من مجموع أجزائها. ويكون الإخفاق في الموضع الذي يضع الأفراد مختلف المنصات سويّا، ويحاولون وضع اقتراح خدمة واحدة بها مجتمعة، و هي الحالة التي تعود بالأفضلية لواحدة منها فقط.هكذافانّ التقارب يعرّف بالاختلاف." (Doyle, 2010, p. 9)

وهو الشعور ذاته الذي عبّر عنه أحد المنفذين التجاريين في التلفزيون عندما قال أنّه لولا المنافسة لما أخذ التلفزيون اتجاه التقارب بين الوسائط.

وعليه فإن التحوّل الذي عرفه ويعرفه التلفزيون تقنيا وتكنولوجيا، يعد بالمفهوم "الماكلوهاني" حتمية تكنولوجية فرضتها التطوّرات التقنية المحيطة بالتلفزيون، على غرار الأقمار الصناعيةوالنت، والهواتف الذكية، التي زاحمت التلفزيون في وظيفته الاجتماعية المتمثلة في الترفيه. ولكن ليس هذا فقط، لأن ما يوفّره التلفزيون لمستخدميه يتجاوز مجرد الترفيه والتسلية، إذ يتعداه الى التصورات الاجتماعية ومختلف البناءات الاجتماعية.وعليه فإن الانشغال، بغض النظر عن التطور التقني للوسيلة، يبقى هو المستخدم الذي يقرّر ماذا يشاهد، و كيف يشاهد وأين يشاهد.

٢.أي تغيّرات في طقوس وممارسات استخدام (مشاهدة) التلفزيون؟

في دراسة قامت بها وزارة الثقافة والاتصال الفرنسية سنة ٢٠٠٨ تحت عنوان "الممارسات الثقافية للفرنسيين في زمن الرقمي" والتي أشرف عليها Olivier Donat استنتجت أن الانتشار المذهل للحاسوب والانترنت، أحدث ثورة في الممارسات المرتبطة بالوسائط السمعية البصرية، لاسيما في إمكانيات تلقي مختلف البرامج.

" إنّنا نعي جيداالتوسع المعتبر لإمكانيات استهلاك، وتخزين، وتبادل المحتويات السمعية البصرية، الذي شهدناه منذ نهاية التسعينيات، سواء في الفضاء الشخصي للبيت أو خارجه، وهذا بالنظر الى الطابع المتنقل للأجهزة الأكثر حداثة." (Donat, 2009)

ويعزو التقرير سبب هذه التحوّلات، الى انتشار ثقافة الشاشة المرئية التي احتلّت الفضاء العام والخاص، وفرضت بذلك علاقة جديدة مع الأشخاص والأشياء، تقوم أساسا على المشاهدة. على الرغم من أن هذه العلاقة ليست بالضرورة حديثة وجديدة، فلقد سبق وأن طرح "هبرماس" إشكالية الفضاء العمومي منذ ظهور الشاشات الكبرى، والملصقات الإعلانية التي غزت الفضاء العمومي، وأعاقت بذلك إمكانية تشكيل رأي عام حقيقي داخل المجتمع. إلا أنّ علاقة المستخدم مع الشاشة لم تعرف الأريحية والسلمية التي تعرفها اليوم، لأنها لم تعد تمثّل حاجزا (على الأقل في الظاهر) أمام الفرد للنفوذ الى النشاطات الاجتماعية المختلفة، فضلا عن أنه لم يعد ينظر إليه على أنه نشاط يتم مزاولته على حساب نشاطات أخرى أكثر أهمية، وهو ما يؤكّده التقرير السالف الذكر.

" إن الوضعية الحالية مختلفةجذريا عن تلك التي كانت في الثمانينيات ١٩٨٠ والتسعينيات ١٩٩٠حيث كانت ثقافة الشاشة محصورة بالأساس في استهلاك برامج التلفزيون. بالطبع، اذا كانت مشاهدة التلفزيون لوقت طويل مربوطة بعامة بمستوى ضعيف من المشاركة في الحياة الثقافية، فان الأمر يختلف بالنسبة للأنترنت الذي يمس فئات المجتمع الأكثر استثمارا في المجال الثقافي."(Donat, 2009, p. 2)

وهذا يعني أن العلاقة مع الشاشة لا تمثل عائقا ولا حرجا، بل أكثر من ذلك، فإن الأشخاص الذين يملكون ثقافة الشاشة وينفذون الى مختلف الوسائط عبر الأرضيات المتعدّدة، هم الأكثر مشاركة في النشاطات الاجتماعية، والأكثر استثمارا لأوقاتهم فيها. وهذا يعني أننا نشهد مرحلة تهدئة أو مصالحة (Pacification) بين المستخدم والشاشة، سواء كانت تلفزيونية أو غير تلفزيونية.

ولقد ذهبت Ang أحد الوجوه البارزة في تيار الدراسات الثقافية، أبعد من ذلك، إذ لم تكتفي بالتأكيد على تغيّر العلاقة مع الوسيط، وإنما أشارت الى حرص القائمين على الاتصال على تغيير العلاقة مع المحتوى بقولها"أن أحد المهام الأساسية للمعلنين لا يكمن في البيع، بقدر ما يكون في الإذن بالتمتع من دون تأنيب ضمير."(Ang, 1985)

وهذا يعني تكسير الحواجز النفسية بين المستخدم والوسيط الذي ينقل المحتوى، ولا يتم هذا إلا من خلال تأقلم المستخدم مع الوسيط أو العكس في سياقه الثقافي الاجتماعي.

وبناء عليه فإن تقارب الميديا غيّر الى حدّ بعيد كيفية إدراك المستخدم لهذه الوسائط، ولعلّ هذا يعود الى أنّ التطور التقني الذي حدث، لم يحدث في فراغ اجتماعي، ولا في قطيعة تامة مع ما سبق من تكنولوجيا، وهو ما يشير إليه chambat.1994الذي يعد ان انتشار التكنولوجيات الاتصالية لا يحدث عن طريق ابتكار أو استبدال راديكالي، وإنما من خلال التداخل مع ممارسات موجودة سلفا، تتكفل بها، وتعيد تنظيمها(Kredens و Rio، 2015).

ولقد لاحظ Guillaume Blanc الظاهرة نفسها، وعمل على التحقّق منها في دراسته لممارسات التلقي التلفزيوني، إذ يشير الى " أن الامكانيات التقنية التي توفرها الرقمنة غير المنافسة، وإنما المكمّلة لممارسات التلفزيون المتدفق، تساهم وتشارك في إعادة الاستحواذ على زمن البيت وفضائه،عن طريق تقوية الشعور "في البيت" والعيش المشترك (Blanc, 2015, p. 65). ولكن إعادة الاستحواذ هذه لا تحدث من دون تغييرات في بعض عادات التعامل وانماطه مع الوسيلة في فضاء البيت مثلا. دائما بحسب Guillaume Blanc فان الميديا بعامة تشارك في هيكلة الأزمنة الاجتماعية، وبالتالي تؤدي دورا في بناء زمن المعاش اليومي (Blanc, 2015, p. 66). والدراسات حول التلفزيون أكّدت هذا المعطى، بحكم خصوصية الوسيلة التي تبني علاقة خطية مع جمهور المستخدمين عن طريق شبكة برامجية معدّة سلفا، يأخذها المشاهد بعين الاعتبار

في تنظيمه الزمني اليومي. وهذه العلاقة تسمح للوسيلة بربط صلة مستمرة ودائمة مع المشاهد، الذي هو بدوره يدخل أوقات المشاهدة ضمن النشاطات اليومية التي يقوم بها الفرد في عالم حياته اليومية. ويعد كثير من الباحثين أن انتقال المحتويات التلفزيونية الى أرضيات متعددة يقوي هذه العلاقة بل يثريها من عدّة نواح.

• امكانية التحرّر من وسيلة الطغاة:

ينظر الباحثون دائما الى التلفزيون على أنه الوسيلة التي تعمل على المحافظة على الوضع القائم، وتقاوم كل المحاولات التي تسعى الى إحداث التغيير، فهو الوسيلة التي تفرض رتابة وروتين اجتماعيين، من خلال ربط المشاهدين بالمحتويات في أزمنة معينة، تتكرّر، وتتردّد، لتتحوّل فيما بعد الى نشاط اجتماعي، يشكّل جزءا لا يستهان به من عالم حياة الفرد اليومي.

أشارت الكثير من الأدبيات النقدية والوظيفية الى قدرة التلفزيون على فرض هيمنة ثقافية، وتقليص الأبعاد الحياتية للفرد والمجتمع الى بعد أحادي، كما تذكر تراكمات البحث النقدية. ومن جهتها أكّدت الدراسات الامبريقية المتعاقبة أن التلفزيون يهيئ الظروف لما يعده Gerbner "تشكّل تيارا مهيمنا" ثقافيا يكون هو الاطار الرمزي الذي يتحرك فيه الأفراد، ويسمي هذه السيرورة بالتثقيف ويشرحها كما يلي: "المسألة أننا لا نتصور الثقافة أحادية الاتجاه، وإنما هي سيرورة جاذبية. بحيث أن زاوية الجذب واتجاهه يتوقف على موقع مجموعات المشاهدين، وطرق حياتهم بالمقارنة مع خط الجاذبية، أو التيار المهيمن لعالم التلفزيون. يمكن لمختلف المجموعات أن تنجر في اتجاهات مختلفة، ولكنها تتأثر جميعها بالتيار المركزي نفسه. وعليه فان التثقيف جزء من سيرورة ديناميكية، مستمرة، في طور التفاعل بين الرسائل و السياقات". (George, 1998, p. 180)

وتحوّلت مشاهدة التلفزيون إلى طقوس تحافظ على نمط حياة بأكمله، و تحافظ على نظرة للعالم بأكملها (كل ما هو موجود، كل ما هو مهم، كل ما هو عادل، كل ما هو مرتبط...الخ )، ويحدث هذا في تناغم كلي مع النسق القائم، والقيم، والمعتقدات، والتصرفات التي يفرضها هذا النسق. ومع مرور الوقت، تتكامل البرامج، وتتقوى من أجل تقديم العالم الرمزي نفسه، والبناء المعرفي والاجتماعي للواقع نفسه. (Gosslin, 1993, p. 7)

ولهذا فإن انتقال المحتوى من شاشة التلفزيون الى أرضيات متعدّدة كـ على الخط، الهاتف الذكي، أو اللوحات الذكية على سبيل المثال لا الحصر، جعل كثيرين ينظرون إليه على أنه تحرّر من طقوس المشاهدة التي يفرضها التلفزيون الكلاسيكي الى درجة أن Gilder عده تحرّرا من وسيلة الطغاة.

"التلفزيون هو وسيلة الطغاة. وإسقاطه يعدّ قوة هائلة للحرية، والفردانية، والثقافة، والفضيلة. إنّ إسقاطه في متناول اليدين." (Shanahan & Morgan, 2004, p. 49)

وشكل هذا الانتقال، حرية أكبر للمشاهد في التعامل مع المحتوى، من خلال إمكانية العودة الى البرنامج في الوقت الذي يرغب فيه، بل المشاهدة وإعادة المشاهدة بالقدر الذي يريده. لأنه موجود هنا حتى بعد مروره على الشبكة البرامجية، عكس التلفزيون المنزلي الكلاسيكي، أين نشاهد فيه البرنامج ثم ننساه. وهو ما يعبّر عنه المدير العام لقناة bbc في حديثه عن الاستراتيجية التسويقية للقناة تجاه المستخدمين.

"إن البرامج لا تظهر مرة ثم تنسى نهائيا. ستكون موجودة هنا دائما لربطها، وقصّها، وإعادة اكتشافها، وبنائها في إطار أفكار أكبر." (Thompson, 2006 inDoyle, 2010, p. 4)

ويعدّ هذا التغيّر في نمط (طقوس) الاستهلاك تغيّرا ثقافيا، بحيث انتقل من المشاهدة الجماعية اجتماعيا حول الشاشة، الى المشاهدة على هذه الأجهزة الصغيرة. ولقد دفعت هذه التحوّلات، أصحاب المؤسّسات الإعلامية والقائمين عليها، الى مراجعة دور التلفزيون في ظل الجدل القائم حول مكانته الجديدة على الصعيدالتكنولوجي، الاجتماعي، الثقافي وحتى السياسي. ويعد الباحثون أن هذه المقاربات المتعدّدة ستستمر بقدر ما يستمر المجتمع في توسيع عدد الأجهزة التي يشاهد فيها الأفراد المحتويات التلفزيونية.(C.Scot, 2014).

•امكانية التحكّم في الزمن المعيش (temporality):

ينتاب الاقتراب الى مسألة المشاهدة عدّة صعوبات، مرتبطة بطبيعة العلاقة التي ينسجها المشاهد مع الوسيلة أو المحتوى. فنجد في التراكم النظري المتوفر لدينا حول هذه العلاقة، اهتماما كبيرا ومتزايدا بالوقت والزمن الذي يقضيه المشاهد أمام الشاشة، وانعكاس ذلك على العلاقة التي تتأسس بينهما تبعا لذلك (لعبان، ٢٠١،ص ١٥٥). فمنذ بروز التلفزيون بوصفه وسيلة اتصال جماهيرية، وهو يؤدي دور المنظم، والمهيكل لأوقات الأفراد في عالم الحياة اليومية،لما يميّز هذا الأخير من قدرة على تنظيم زمن المشاهدة على أساس الشبكة البرامجية. يتأقلم الفرد المشاهد مع هذا التنظيم في ترتيب أوقاته اليومية، وهذا بتخصيص حيّز من نشاطاته اليومية الاجتماعية للمشاهدة ومتابعة البرامج وفقا للتوقيت المخصّص لها في الشبكة المعدّة سلفا.وهو ما يعطي التلفزيون هذه المركزية في حياة الفرد المشاهد، "إذ أنه يعمل على هيكلة الأزمنة الاجتماعية، ويؤدي بذلك دورا في بناء زمن المعاش اليومي."(Blanc, 2015, p. 66).

إلا أن التطوّر التكنولوجي وتقارب الميديا، وفّر للفرد إمكانية إيجاد المحتويات التي تلبي احتياجاته،على أرضيات غيرشاشة التلفزيون، وفي الأوقات التي يريدها، مماّ ولّد وضعية جديدة زعزعت العلاقة الخطية بين التلفزيون والمشاهد كما يوضح ذلك Blanc" في السياق الرقمي، إذ المحتويات متوفرة في اي وقت، وعلى اية شاشة، يعاد النظر في البناء الزمني للميديا." (Blanc, 2015, p. 66)

فالتلفزيون اليوم لم يعد تلفزيون العرض فقط، ولكن تلفزيون الطلب أيضا، على الرغم من أنّ هذا التحوّل يخفي حقيقة أكثر تعقيدا، تتجاوز مجرّد الانتقال من وسيط أوحد الى تعدّد في الوسائط، ومن علاقة خطية الى علاقة أكثر تفاعلية. لأنه بالرغم من أن التلفزيون لم يعد المرجع السمعي البصري الوحيد، إلا أنّ المحتويات التي ينتجها ويبثهاسيما على الانترنت هي المصدر الأساسي في الاستهلاك السمعي بصري.(Kervella & Loicq, 2015, pp. 79-80).

وهذا يجرنا الى التساؤل، عما اذا كان التلفزيون حافظ على قدرته على تنظيم الزمن الاجتماعي للفرد، وهو مالم يكن ممكنا إلاّ لأنّ التلفزيون بوصفه نسقا، مبني على شبكة برامجية مضبوطة على مواعيد ثابتة تضرب للمشاهد، يتعوّد عليها بصفة روتينية يومية، أوأسبوعية، أو شهرية. يبني من خلالها علاقة وفاء حقيقية مع الشاشة ومحتوياتها، تدمج في اطار أنشطة الفرد الاجتماعية، وممارساته الطقوسية اليومية.

أشارت بعض الدراسات، الى أنّ التغيّرات التي أدخلها تقارب الميديا على الممارسات التلفزيونية، تعمل في اتجاه مرونة أكبر في القيود / العوائق الزمنية المتعلقة بالبرمجة المفروضة، وفي اتجاه إعادة الاستحواذ على الأوقات المخصّصة للسمعي بصري، ولم يلاحظ أن هناك اتجاها نحو التخلّص من المزامنة / الموائمة مع السيل التلفزي. إن إمكانية تعديل أوقات الالتقاء، بين الأزمنة اليومية والسمعي البصري، قوى هذه

العلاقات ولم يضعفها. وهو ما جعل أن السيل التلفزي ما زال يحظى بالحضور في التنظيم الزمني للأفراد (Blanc, 2015, p. 68) في علاقتهم مع المحتوى، ومع إعادة هيكلة هذه العلاقة فيما يتعلق بتنظيم المواعيد وطقوس المشاهدة.

ومن جهة أخرى نجد أن بعض الممارسات المرتبطة باستخدام مختلف الأرضيات مثل إعادة المشاهدة، التحميل، التدفق (replay، téléchargement، streaming) تؤسّس لعلاقات متينة بين البرامج المفروضة من طرف التلفزيون، والحرية النسبية التي يتمتع بها المستخدم في مواعيده السمعية بصرية. إذ أن الملاحظ في بعض الدراسات أنه رغم الحماسة المعلنة لكسر العلاقة الخطية مع المحتويات، إلا أن التلفزيون في بنيته الكلاسيكية، وفي أغلبية مضامينه ما زال ينتج من أجل الاستهلاك الخطي. وعليه فإنّ البرامج التلفزيونية ما تزال قادرة على هيكلة الممارسات السمعية البصرية للجمهور. (Blanc, 2015, pp. 68-69).

•إمكانية الاستحواذ على الفضاء

شكّلت دراسة علاقة الفضاء بمختلف الوسائط الإعلامية تقليدية أو حديثة، هاجسا حقيقيا منذ الوهلة الأولى، لأن كل التفاعلات الاجتماعية تحدث في إطاره، ويشكل بذلك بعدا حيويا في فهم طبيعة علاقات الافراد فيما بينهم، ومع مختلف الأشياء المادية، والوسائط التي تحيط بهم في الفضاء.

لهذا السبب شدّد Meyrowitz على أهمية تحليل أثر الميديا الإلكترونية على السلوك الاجتماعي، فيما يسميه "الوضعيات الجغرافية للحياة الانسانية" ويقصد بذلك أن الميديا تقوّض العلاقة التقليدية بين المكان المادي والموقف الاجتماعي، بمعنى آخر، أننا لا نبقى طويلا في المكان نفسه بالطريقة ذاتها تماما. (Meyrowitz, 1989).

وهذه الوضعية من شأنها أن تفقد الموقف الاجتماعي التكرار والروتين اللازمين من أجل تنميط الفعل والسلوك الاجتماعيين. إلا أن التساؤل الملح في هذه الحالة، يكمن فيما إذا كان تعدّد الوسائط التي تحمل المحتوى، يحطّم الفضاء بوصفه مجالا لتنظيم السلوكيات، ومؤشرا لفهم هذه السلوكيات في علاقتها بالفضاء. أو ربّما توفر لنا فهما مغايرا، ومختلفا عن الفهم الذي كان لدينا عندما كان الجهاز يتوسط الفضاء ويستحوذ على المكان المركزي فيه.

ينبغي أوّلا أن ننظر الى الفضاء، لا بوصفه مكانا ماديا تصطف فيه الأشياء وترتّب، وإنما ينبغي إدراكه تفاعلا مستمرا بين الأشخاص والأشياء، كما يعرّفه Michel de Certeau"الفضاء بالنسبة للمكان، كالكلمة عندما نتحدث بها"(Blanc, 2015, p. 70) . فالتلفزيون مثلا شكّل أساس التجربة المشتركةمن خلال تموقعه الواضح في الفضاء(Meyrowitz, 1989). كما شكّلت المشاهدة الى وقت غير بعيد، فرصة من أجل ترميم العلاقات الاجتماعية وتعضيدها داخل الأسرة ومع الجيران، وفتحت المجال للمناقشة والحوار(العياضي، البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال في المنطقة العربية وأفول الأفق النظري، ٢٠١٥). وكل هذا يحدث في الفضاء نفسه وحول التلفزيون لأن هذا الأخيروان كان " لا يتحرك فإنه يقوم بتعبئة الفضاء عن طريق مواءمة الفضاء لضروريات الجهاز، وتثبيت الأشخاص الذين يرغبون في المشاهدة في الغرفة التي يتواجد فيها الجهاز."(Blanc, 2015, p. 71).

وبالنظر الى أهمية الفضاء في بناء التفاعلات والمعاني المنجرة عنها، فإننا نلحظ أنّ التعدّد في الوسائط والتقارب بينها، يبعد التجربة (والتجربة التلفزيونية) عن مكانها المادي الذي يشكّلها. إذ حوّلت الفضاء

بثقله الثقافي والاجتماعي الى مجرد موقع ومكان تتلاشى فيه التجربة، ويتلاشى احساسنا بالفضاء، فنحن هنا وهناك في الوقت نفسه، فالأماكن تتشابه، وشعورنا بأهميتها وبكونها فريدة يصبح منعدما، وبدل العيش في الفضاء والمكان، نتحوّل الى جزء من منظومة معلوماتية وطنية كانت او دولية. (لعبان، إشكاليات التلقي في زمن التكنولوجيات الحديثة للاتصال: رهانات الفهم وبناء المعاني، ٢٠١٥).

يبقى أنه ينبغي التعامل بحذر مع الموقف الذي يعد أن التكنولوجيات الحديثة للاتصال بعامة، وتعدّد الوسائط وتقاربها، غيّر أو يغير وظائف الفضاء بهذه الجذرية، لأن تواتر الدراسات المنجزة حول الموضوع، يؤكد حقيقة هذا الانتقال الى الوسائط المتعددة من أجل البحث عن المحتويات، كما يؤكد أيضا التحرر من الفضاء، لاسيما فضاء البيت، من أجل التفاعل مع المحتويات المختلفة. إلا أنها في الوقت نفسه تشدّد على أنه "لا يوجد أي جهاز رقمي قادر على تلقي المضامين السمعية البصرية، بإمكانه تعبئة الفضاء كما يفعله التلفزيون، وإن هذه الاجهزة لاسيما عندما تكون متحرّكة تأتي وتلتصق في تشكيلات منزلية موجودة سلفا، من دون أن تعيد تشكيله بصفة أساسية".(Blanc, 2015, p. 71).

٣. تقارب الميديا في سياق النسق الاجتماعي التقليدي.

تعوّدنا النظر الى العلاقة بين النسق الاجتماعي، ومختلف المستحدثات التكنولوجيات من زاوية ثنائية (Binaire) حتمية. تتمثل الأولى في الريب والحذر، بينما تتسم الثانية بكثير من الحماسة تصل حدّ الانبهار. وكلا النظرتين قائمتان على توقعات فردية، ولكن بصفة أساسية توقعات جماعية يعبر عنها النسق الاجتماعي، من خلال ايجاد وظائف في اطار هذا النسق لا تسبب تصدعا في النسق. ولهذا نجد أننا في كثير من الأحيان نسارع الى اختزالها في هذه التوقعات التي غالبا ما تكون قيمية معيارية مرتبطة بالإيجاب أو السلب. حدث هذا مع التلفزيون، ويحدث مع الانترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي. ويعود هذا الى طبيعة النسق الاجتماعي التقليدي الذي يعد أن كل الوسائل التي يمكن أن تدعّم فردانية الفرد تشكّل خطرا على وجوده، ويتم التعبير عن هذا بمسمى الخصوصية، التاريخية، والثقافية، والعقدية... وغيرها.

يقوم النسق الاجتماعي التقليدي وينبني على" عجز الأفراد والمجموعات على التحكم في ظروف حياتهم وتوجيه مستقبلهم تبعا لمتطلبات الساعة. يهده الى ضمان وجوده في محيط (جغرافي، مناخي، سياسي، واجتماعي) معاد. ويعطي معنى لوجوده من خلال الوقوف ضد كل وافد خارجي. عادة ما يكون هذا النسق غير مدوّن كتابيا؛ فكلّ شيء فيه مسجّل ومحفوظ في الذاكرة الفردية والجماعية، ثمّ يعاد استرجاعه وتبليغه شفهيا، وتشكل الأسرة الأساس السوسيولوجي للنسق الاجتماعي التقليدي"(Madhar, 2013, pp. 17-18).

إنّ الديناميكية الوحيدة التي تحرّك النسق الاجتماعي التقليدي، هي السعي نحو إعادة انتاج ذاته ضمن أطر الثبات، والجمود، والهيمنة الدائمة والمستمرة على الأفراد، وتجريديهم من ذواتهم الفاعلة. وعليه، يظهر أن النسق الاجتماعي التقليدي هو في حد ذاته اقصاء قسري لديناميكيات التحوّل الاجتماعي وسيرورات التحديث. (لوصيف، ٢٠١٤، صفحة ٧٠).

ما يلاحظ على النسق الاجتماعي التقليدي في توجهاته الزمنية أنه متحوّل نحو الماضي، ولهذا فإن انشغاله الأساس هو المحافظة، التي قد تتجسد في المحافظة على الفرد من التأثيرات الخارجية (والتكنولوجيا قد تشكل خطرا عليه)، المحافظة على الجماعة من أية محاولة للفرد للظهور والبروز بصفة مستقلة عن

هذه الأخيرة.ويمرّ هذا عن طريق قمعه ومصادرة حريته، وزجره إن اقتضى الأمر ذلك من خلال عزله اجتماعيا، والتضييق عليه. والمحافظة أيضا تمر عن طريق المحافظة على الثقافة التي تنظّم العلاقات داخل النسق، كالعلاقة بين الذكور والإناث، والعلاقة بين الكبار والصغار، والعلاقة بين الفرد والجماعة، والعلاقة بين الذات والآخر، وحتى علاقاتنا مع ذواتنا فيما يتعلق بالمفكّر(بفتح الكاف) فيه، والمحظور التفكيرفيه، وحدود هذا التفكير. من أجل ذلك فإن أية محاولة للتغيير تفسّر على أنها موجهة ضد النسق الاجتماعي التقليدي وإعادة النظر في وجوده أساسا.

وهذا لا يعني أبدا، أن النسق الاجتماعي التقليدي لا يتحلى بالحلل الجديدة التي أتت بها الحداثة، وما بعد الحداثة، من وسائل الإنتاج، والترفيه، والاتصال، والتكنولوجيا، لأنه كما أشرنا الى ذلك في بداية هذا العنصر، لا يحيلنا مدلول هذا المفهوم، الى حقبة زمنية معينة من تاريخ المجتمع، ولكنه ديناميكية تملك القدرة على التأقلم مع الأوضاع الجديدة والمتجدّدة. قد يسمي البعض هذه الوضعيات مراحل انتقالية، إلا أنّه من وجهة نظرنا تعبّر أكثر عن تجل آخر ومختلف من تجليات النسق التقليدي، فهو في نظر الباحث لوصيف "عصر مجتمعي معقّد يتركّب من أزمنة متعدّدة. وبطبيعة الحال، يؤثر في هذا العصر منظور زمني بعينه ويشكل فيه توجها غالبا؛ وفي حالة النسق الاجتماعي التقليدي بالذات، فإن الماضي هو المنظور الزمني المهيمن في المجتمع، بعدّ الجمود والثبات والسكون والتعلّق بالمقدس من خصائص هذا النسق." (لوصيف، ٢٠١٤، صفحة ٧١).

ولعل هذا يتجسد في نظرة الريب التي تحكم تمثّلنا للمستحدثات التكنولوجيا بعامة، لا سيما تلك التي تنتج المعاني، كالتلفزيون، والانترنت، ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي، إذ أن "القسم الأعظم من البحوث في المنطقة العربية حاولت معرفة دور مواقع الشبكات الاجتماعية في تعزيز الهوية الجمعية الشاملة التي تصوّر بوصفها معطى جاهزا وتاما ومتجانسا...إن هاجس الهوية العربية الاسلامية الذي طغى على بعض البحوث عن مواقع الشبكات الاجتماعية نجم عن تمثّل بعض الباحثين لهذه المواقع الذين يرونها دخيلة على المجتمع، وفرضت عليه؟ وستحدث لا محالة، قطيعة مع عاداته، وتقاليده، وقيمه الاجتماعية، وتنشئ بدلا من ذلك روابط اجتماعية جديدة غير مسبوقة." (العياضي، تكنولوجيات وسائط جديدة وإشكاليات قديمة : التفكير في عدّة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية، ٢٠١٤، صفحة ١٣٣)

بناء على ما سبق، يعد انتقال المشاهدة التلفزيونية من الشاشة الى الأرضيات المتعدّدة في ظل تقارب الميديا، تحديا جديدا للمجتمع في سياق مفهوم النسق الاجتماعي التقليدي. وسنحلل هذه العلاقة انطلاقا من العناصر الآتية.

تفاعل الفرد مع سياقه عن طريق هذه الإمكانيات التي يوفرّها تقارب الأرضيات الناقلة للمضمون، لاسيما التحرّر من الجماعة والمشاهدة الجماعية.كما سنهتم بمركزية التلفزيون في فضاء البيت بوصفه أداة للضبط الاجتماعي، في مقابل التواجد في كل مكان، وفي أي مكان، وضعية تمرّد على السياق المنزلي.

- التحرّر من المضمون بإمكانية الإقبال عليه في أي وقت.

سبق وأن أشرنا الى أن تقارب الميديا نقل المشاهدة التلفزيونية نظريا من المشاهدة الجماعية الى المشاهدة الفردية، وهو بذلك حرّر المشاهد من انتظار وقت البث، إذ أصبح بالإمكان المشاهدة في الوقت الذي يختاره وبالتردّد الذي يريده، وعلى الوسيط الذي يرغب فيه. كما حرّره من قيود الشبكة البرامجية التي تقيّد المشاهدين في المضامين، والأوقات والفضاء. و يعدّ هذا، إعادة نظر في خطية العلاقة بين التلفزيون

بوصفه وسيلة جماهيرية، والمشاهد كجمهور، ومتلق، ومستخدم، وهو ما يعني نقل السلطة في هذه العلاقة الى الجمهور الذي أصبح يتمتع بإمكانية التحكم في الوسيلة من خلال التحكم في أزمنة المشاهدة. وهذا في حدّ ذاته له تأثير على علاقة الفرد بالنسق الاجتماعي. لأن بحوث التلفزيون أكّدت أنه الوسيلة الأكثر محافظة من بين وسائل الاتصال الجماهيرية، حتى أن البعض يسميه وسيلة الطغاة كما سبقت الإشارة لذلك، ويعد الوسيلة الأكثر مقاومة لأي تغيير في المجتمع، وعلى حد تعبير George Gerbner المروّج، والمدعّم، والمحافظ على النسق الرمزي المهيمن، وهو الرأي الذي يدعّمه، ويؤكّد عليه Stuart Hall في تحليله للخطاب الرمزي المهيمن في التلفزيون عبر نصه المرجعي "الترميز وفك الترميز".

من جهة أخرى، وعكس ما يعتقد كثيرون، فإن التلفزيون لا يشكّل خطرا على النسق التقليدي، بل يعدّ أكبر حليف له، "فبعض الخطابات التي تظهر على أنها خطابات رافضة لمحتوياته (واقصد هنا بعض الخطابات المحافظة)، ومندّدة به، تكون في حقيقة الأمر هي المدعّم الموضوعي للامتثالية التلفزيونية، ويوجد تماثل كبير بين هذا الخطاب والخطاب التلفزيوني. فكلاهما يدعوا إلى الامتثالية والمعيارية في التعرّض للرسالة (التلفزيوني منه والخطاب المحافظ)، وكلاهما يعيد الفرد إلى خصوصياته الأنثروبولوجية، التي تعمل على إلغاء التجربة التاريخية للإنسان، وتعيده إلى خصوصياته الغريزية، التي من خلالها يفقد الفرد كل قدرة على التفكير انطلاقا من هذا التراكم التاريخي، و هذا من أجل إعادة بنائه من جديد، وجعله عرضة للتبسيط والسذاجة." (لعبان، علاقة الادمان على المشاهدة التلفزيونية ببناء الأفراد للحقائق الاجتماعية، ٢٠٠٨، صفحة ٢١٤).

وتمثّل الخطية في العلاقة شرطا أساسيا لحدوث هذا المسار، لأنه مع مرور الوقت تتحوّل الى ما يشبه العلاقة السلّمية (بضمّ السين) الفوقية من الوسيلة الى الجمهور. ولهذا السبب فإن تقارب الميديا ليس مجرّد تعدّد للأجهزة والأرضيات فيما يخص النسق التقليدي، بقدر ما هو تكسير لاحتكار التلفزيون شاشة للمحتوى، وتحرير للمشاهد بوصفه مواطن وليس مجرّد متلق ومستخدم، وربّما هذا الذي يفسّر ما سبقت الإشارة إليه، من أن القائمين على المؤسّسات التلفزيونية، لم يختاروا تقارب الميديا، وإنما وجدوا أنفسهم مضطرين الى ذلك اضطرار (الرجوع الى ما قاله المدير التنفيذي لقناة BBC).

•مركزية التلفزيون في فضاء البيت بوصفه أداة للمراقبة الاجتماعية.

شكّل السياق المنزلي، أحد المتغيّرات الأساسية في البحوث التي قام بها David Morley لفهم تفاعل الأفراد فيما بينهم في الفضاء المنزلي حول التكنولوجيات الاتصالية، بما فيها التلفزيون. اعتبر أن تنظيم الفضاء الذي تحصل فيه هذه التفاعلات، بإمكانه أن يقدم لنا إشارات واضحة عن مكانة هؤلاء الأفراد، وأدوارهـم، ومواقعهم في السلّم الاجتماعي. ومن الجهة المقابلة أبرز أهمية موقع التلفزيون في مركز الفضاء المنزلي، وأشار الى أهمية التفاعلات التي تحدث بين أفراد الأسرة حول الوسيلة، سواء كانت هي موضوع التبادلات، أو كانت هي التي تبني الخطاب الذي تتم حوله التبادلات. سمحت الملاحظات التي قام بها Morley بتفسير علاقات السلطة داخل الفضاء المنزلي، فضلا عن مكانة كل فرد، وكيفية تموقعه في الفضاء بناء على نوعه، وانتمائه الطبقي.

شكّلت هذه الدراسات قفزة نوعية فيما عرف ببحوث التلقي، إذ من خلال تأكيدها على أهمية السياق المنزلي الذي تحدث فيه التفاعلات الاجتماعية، نزعت حصرية العلاقة الثنائية بين الجمهور والوسيلة، ومن زاوية أخرى، عن طريق عد التلفزيون تكنولوجية منزلية، جعلت منه موضوع التفاعلات، من دون أن

يكون بالضرورة المحدّد الأساس لها.

إلاّ أنّ Morley وفي اطار هذا التصور، يؤكد على أن التلفزيون يبقى أداة للمراقبة الاجتماعية. ويتجسد هذا جليا في سياق النسق الاجتماعي التقليدي،إذ تشكّل المشاهدة التلفزيونية على الشاشة فعلا جماعيا يعطي امكانية للنسق من أجل مراقبة الفرد في الفضاء، والتأكيد، والتعويد، والتنشئة على الادوار الاجتماعية، لاسيما ما يتعلق بأدوار الذكور والإناث والعلاقة بينهما،كعلاقة الأب مع الأم، في علاقة الأب مع الأبناء، في علاقة الذكور من الأبناء مع الإناث، وكذلك في العلاقة بين الكبار والصغار. كما يتعلّمون السلّمية في اطار النسق من خلال التراتبية في أخذ الكلمة للمناقشة حول الموضوعات التي تثيرها المشاهدة. كما أن الفرد يتعلم المقبول والمحظور في اطار النسق من خلال ما يسمح به للمشاهدة وما لا يسمح به.

أكّدت بعض الدراسات في المنطقة العربية هذا المعطى من "أن التلفزيون فعل جماعي، يلمّ الأسر... إذ شكّلت المشاهدة فرصة ذهبية من أجل ترميم العلاقات وتعضيدها داخل الأسرة ومع الجيران، وفتحت المجال للنقاش والحوار الذي يتجاوز ظرفية المشاهدة، ويتواصل في فضاءات أخرى منفصلة عن سياق المشاهدة." (العياضي، البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال في المنطقة العربية وأفول الأفق النظري، ٢٠١٥، صفحة ٢٣).وهو ما يعد تأكيدا للنسق الاجتماعي التقليدي، واعادة تفعيل آلياته الرقابية على الفرد من خلال توظيف التكنولوجيات الاتصالية المنتجة للمعنى في تفعيل الوظائف الاجتماعية التقليدية إذ "جاءت بالجديد وأدمجته في القديم، وأعادت إحياء الانتماء الى مسقط الرأس، وشدّدت من أواصر الارتباط بالأهل والأصدقاء والمعارف، ومنطقة عيش الأهل والاسرة. فقد استطاعت مواقع الشبكات الاجتماعية على سبيل المثال، أن تحيي دور ثاجماعث (جمعية الأعيان) في منطقة القبائل بالجزائر التي كادت تندثر، من خلال ربط أبناء القرى المهاجرين في كندا، والولايات المتحدة الأمريكية، ودول الخليج العربي، بقضايا قراهم وإدارتها." (العياضي، تكنولوجيات وسائط جديدة وإشكاليات قديمة: التفكير في عدّة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية، ٢٠١٤، صفحة ١٣٤)وهذا يؤكد على أن الفرد مهما ابتعد، ومهما تعلّم، فإنه يبقى مرتبطا بنسقه الاجتماعي التقليدي، وبآلياته الضبطية والرقابية، فالنسق التقليدي لا يسعى الى الافادة من كفاءته لأنها قد تعيد النظر في النسق ذاتـه، وإنمـا يتقوى بعدّه في صفوفه، والاستقواء به لتعضيد شبكته العلاقاتية، من أجل ضمان استمراريته وبقائه.

ولهذا فان إعادة النظر في مركزية التلفزيون عن طريق تقارب وتعدّد الأرضيات الناقلة للمحتوى التي يتم حولها الاتصال والتفاعل، ومزاحمته في دوره الاجتماعي من خلال نقل وضعيات التفاعل من المكان الى أي مكان، هو إعادة النظر في آليات التحكم في الفضاء الذي عادة ما تحدث فيه التفاعلات ويتم مراقبتها، لأن إمكانية المشاهدة على أدوات شخصية متملّكة من طرف الفرد، يعقّد عملية المراقبة، فالاستخدام يحدث فرديا وشخصيا بعيدا عن الرقابة وعن الأنظار، لأنه يتم في فضاءات يتم اختيارها بسبب أنه ليس لأحد سلطة عليها. ولهذا نجد أن الفئات الأكثر ابتعادا من التلفزيون واستخداما لهذه الأدوات المتعدّدة هي فئة الشباب الأكثر تمردا على السلطة ( Autorité )، والتي تسعى الى فك الارتباط بالمركز.

## خلاصة

مهما يكن، فإنّ تغيّر ممارسات المشاهدة وطقوسها في ظل تطور التكنولوجيا الرقمية، وتوجّه المؤسّسات التلفزيونية نحو تقارب الميديا، يبقى مرهونا بمجموعة من العوامل المرتبطة بالفرد، والمجتمع،

**والتكنولوجيا ذاتها.**

**-يشترط الكفاية التقنية لدى الأفراد المستخدمين من أجل الاستحواذ على التكنولوجيا، فضلا عن القدرة المادية التي تسمح باقتنائها.**

**-إن نفوذ التكنولوجيا الرقمية الى المجتمع الجزائري يبقى متواضعا مقارنة بما هو موجود في مجتمعات أخرى، لاسيما ما تعلق بالاشتراك الرقمي، الذي يعد ضروريا في تجاوز الفضاء المنزلي في التفاعل مع التلفزيون. مما يحصر الاستخدام في السياق المنزلي، وان انتقل من المشاهدة الجماعية الى المشاهدة الفردية.**

**-على الرغم من كل الامكانيات التي توفرها التكنولوجيا الرقمية، من ميزات مثل ،Replay** téléchargement، streaming **وغيرها، إلاّ أن استخدامها يبقى حبيس السياق، عكس ما يقوله** Meyrowitz **من أنّ احتمال أنّ الميديا تغيّر علاقة الفرد بسياقه، أقوى من احتمال أن هذا الأخير يغيّر من وظيفتها اجتماعيا.** (Meyrowitz, 1989).

**إلاّ أنّ الملحوظة الاستقرائية في واقع المجتمع، تؤكد أن التكنولوجيا تجد صعوبة في تغيير الممارسات وطقوس الاستخدام والمشاهدة، فتعمل على التأقلم معها. ومن جهة أخرى فإن النسق الاجتماعي التقليدي يتموّه وراء الاستخدام الحديث الظاهر للتكنولوجيا، في الوقت الذي يقوي فيه وجوده في حياة الأفراد، و يحكم قبضته عليهم.**

## قائمة المراجع


- العياضي نصرالدين. (٢٠١٤). تكنولوجيات وسائط جديدة وإشكاليات قديمة : التفكير في عدّة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية. المجلة الجزائرية للاتصال. عدد٢٢.

- العياضي نصر الدين. (٢٠١٥). البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال في المنطقة العربية وأفول الأفق النظري. مخلوف بوكروح، وسائط الاتصال بين الإرسال والتلقي.الجزائر: مخبر بحث: استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر.كلية علوم الإعلام والاتصال. جامعة الجزائر٣.

- لعبان عزيز. (٢٠٠٨). علاقة الادمان على المشاهدة التلفزيونية ببناء الأفراد للحقائق الاجتماعية. أطروحة دكتوراه. قسم الإعلام والاتصال. كلية العلوم السياسية والإعلام. جامعة الجزائر٣.

- لعبان عزيز. (٢٠١٥). إشكاليات التلقي في زمن التكنولوجيات الحديثة للاتصال: رهانات الفهم وبناء المعاني. مجموعة من الباحثين بإشراف بوكروح مخلوف، وسائط الاتصال بين الإرسال والتلقي.الجزائر: مخبر بحث: استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر. كلية علوم الإعلام و الاتصال. جامعة الجزائر٣.

- لعبان عزيز. (٢٠١٥). دراسة علاقة حجم التعرض للتلفزيون بعوامل الادمان على المشاهدة لدى طلبة الجامعة والثانوية في الجزائر العاصمة. مجلة بحوث العلاقات العامة الشرق الأوسط. عدد ٧.

- لوصيف سعيد. (٢٠١٤). اللااستحواذ كمدخل نظري لفهم اشكالية علاقة المجتمع الجزائري بالابداعات التكنولوجية. المجلة الجزائرية للاتصال. عدد ٢٢.

.Ang, I. (1985). Watching dallas. London: Methven

Blanc, G. (2015). Les pratiques de réception télévisuelles des jeunes à l'ère du numérique:entre muta-
.(tions et permanences. Etudes de communication(44

.C.Scot, M. (2014). What is television? Chalenging media landscapes conferences, mediacity.UK

Donat, O. (2009). Les pratiques culturelles des francais à l'ère du numérique: Elément de synthèse
.(1997-2008. Culture études(5

Doyle, G. (2010). From television to multiplatform. less from more or more for less ? The interna-

.(tional journal of research into new media technologies, 16(4
.(Gerbner, G. (1998). Cultivation analysis: An overview. Mass communication and society, 1(3-4
.Gilder, G. (1994). Life after television. New York: Norton
Gosslin, A. (1993). Violence et effet de l'incubation de la télévision: la thèse de la cultivation analysis.
.(Les cahiers de la communication publiques(6
Jenkins, H. (2006). Convergence Culture: Where old and new media collide. New york and London:
.New york university press
Kervella, A., & Loicq, M. (2015). Les pratiques télévisuelle des jeunes à l'ère du numérique: entre
.(mutations et pérmanences. Etudes de communication(44
Kredens, E., & Rio, F. (2015). La télévision à l'ére du numérique: entre pratiques émergente et recon-
.(figuration de l'objet médiatique. Etudes de communication(44
.Lotz, A. D. (2007). Television will be revolutionized. N.Y: New york university press
.Madhar, S. (2013). Manuel d'une algerie à la dérive.Alger: Thala édition
.(Meyrowitz, J. (1989). The generalised elsewhere. Critical studies in mass communication, 3(6
Shanahan, J., & Morgan, M. (2004). Television and its viewer –cultivation theory and research -.
.United Kingdom. Cambridge university press